سبحانه لا اشتق منه اسم ولم تكن اسماؤه كلها حسنى ولعاد اليه منه حكم تعالى وتقدس عن ذلك وما يفعله
من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض اذ هو محض العدل والحكمة وانما يكون شرا
بالنسبة اليهم فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامهم به لا في فعله القائم به ونحن لا ننكر ان الشر يكون في مفعولاته
المنفصلة فانه خالق الخير والشر ولكن هنا امران ينبغي ان يكونا منك على بال احدهما ان ما هو شر او متضمن
للشر فانه لا يكون الا فعلا منفصلا لا يكون وصفا له ولا فعلا من افعاله الثاني ان كونه شرا هو امر نسبي
اضافي فهو خير من جهة تعلق الرب بتكوينه به وشر من جهة نسبته الى من هو شر في حقه فله وجهان فهو
من احدهما خير وهو الوجه الذي نسب فيه الى الخالق سبحانه تكوينا وخلقا ومشيئة لما له فيه من الحكمة
البالغة التي استأثر بعلمها واطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها واكثر الناس تضيق عقولهم عن مبادي
معرفتها فضلا عن حقيقتها فكيف بهم الايمان المجمل بان الله سبحانه هو الغني الحميد وفاعل الشر لا يفعله
الا لحاجته المنافية لغناه او لنقصه وعيبه المنافي لحمده فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا وان كان
هو الخالق للخير والشر فقد عرفت ان كونه شرا هو امر اضافي وهو في نفسه خير من جهة نسبته الى خالقه
ومبديه فلا تغفل عن هذا الموضع فانه يفتح لك بابا عظيما من معرفة الرب وحينئذ فتزول عنك
شبهات حارت فيها عقول اكثر الفضلاء وقد بسطت في كتاب التحفة المكية وكتاب الفتح القدسي وغيرهما
واذا اشكل عليك هذا فانا اوضحه لك بامثلة احدها ان السارق اذا قطعت يده فقطعها
شر بالنسبة اليه وخير محض بالنسبة الى عموم الناس لما فيه من حفظ اموالهم ودفع الضرر عنهم وخير
بالنسبة الى متولي القطع امرا وحكما لما في ذلك من الاحسان الى عبيده عموما باتلاف هذا العضو المؤذي لهم
المضر بهم فهو محمود على حكمه بذلك وامره به مشكور عليه يستحق عليه الحمد من عباده والثناء عليه
والمحبة وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم في دمائهم وحرمانهم وجلد من يصول عليهم في اعراضهم
فاذا كان هذا عقوبة من يصول عليهم في دنياهم فكيف عقوبة من يصول عليهم في اديانهم ويحول
بينهم وبين الهدى الذي بعث الله به رسله وجعل سعادة العباد في معاشهم ومعادهم منوطة به
فعقوبة مثل هذا الصائل خير محض وحكمة وعدل واحسان الى العبيد وهي شر بالنسبة الى الصائل
فالشر ما قام به من تلك العقوبة واما ما نسب الى الرب منها من المشيئة والارادة والفعل فهو عين
الخير والحكمة فلا يغلظ حجابك عن فهم هذا النبأ العظيم والسر الذي يطلعك على مسئلة القدر
ويفتح لك الطريق الى الله ومعرفة حكمته ورحمته واحسانه الى خلقه وانه سبحانه كما انه البر الرحيم الودود
المحسن فهو الحكيم الملك العدل فلا تناقض حكمته ورحمته بل يضع رحمته وبره واحسانه موضعه
ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه وكلاهما يقتضي عزته وحكمته وهو العزيز الحكيم
فلا يليق بحكمته ان يضيع رضاه ورحمته ولا تلتفت الى قول من غلظ حجابه عن الله ان الامرين بالنسبة
اليه على حد سواء ولا فرق اصلا وانما هو محض المشيئة بلا سبب ولا حكمة وتأمل القرآن من اوله
الى آخره كيف تجده كفيلا بالرد على هذه المقالة وانكارها اشد الانكار وتنزيه نفسه عنها كقوله

افنجعل

افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون وقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقوله ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار فانكر سبحانه على من ظن هذا الظن ونزه نفسه عنه على انه مستقر في الفطر والعقول السليمة ان هذا
لا يكون ولا يليق بحكمته وعزته والهيته لا اله الا هو سبحانه عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وقد فطر الله عقول عباده
على استقباح وضع العقوبة والانتقام في موضع الرحمة والاحسان ومكافأة الصنع الجميل بمثله وزيادة فاذا وضع
العقوبة موضع ذلك استنكرته فطرهم وعقولهم اشد الاستنكار واستهجنته اعظم الاستهجان وكذلك وضع
الاحسان والرحمة والاكرام في موضع العقوبة والانتقام كما اذا جاء الى من يسيء الى العالمين بانواع الاساءة في كل
شيء من اموالهم وجرعهم ودمائهم فاكرمه غاية الاكرام ورفعه وكرمه فان الفطر والعقول تأبى استحسان هذا
وتشهد على سفه فعله هذه فطرة الله التي فطر الناس عليها فما للعقول والفطر لا تشهد حكمته البالغة وعزته
وعدله في وضع عقوبته في اولي المحال بها واحقها بالعقوبة وانها لو اوليت النعم لم يحسن بها ولم يلق واظهرت
مناقضة الحكمة كما قال الشاعر نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على اقوام فهكذا نعم الله
لا تليق ولا تحسن ولا تجمل باعدائه الصادين عن سبيله الساعين في خلاف مرضاته الذين يرضون اذا غضب
ويغضبون اذا رضي ويعطلون ما حكم به ويسعون في ان تكون الدعوة لغيره والحكم لغيره والطاعة لغيره
فهم مضادون له في كل ما يريد يحبون ما يبغضه ويدعون اليه ويبغضون ما يحبه وينفرون عنه ويوالون
اعداءه وابغض الخلق اليه ويظاهرونهم عليه وعلى رسوله كما قال تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا وقال تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته
اولياء من دوني وهم لكم عدو فتأمل ما تحت هذا الخطاب الذي يسلب الارواح حلاوة وجلالة وتهديدا
كيف صدره باخبارنا انه امر ابليس بالسجود لابينا فابى ذلك فطرده ولعنه وعاداه من اجل ابائه عن السجود
لابينا ثم انتم توالونه وقد لعنته وطردته اذ لم يسجد لابيكم وجعلته عدوا لكم ولابيكم فوالتموه وتركتموني
افليس هذا من اعظم الغبن واشد الحسرة عليكم ويوم القيامة يقول تعالى اليس عدلا مني ان اولي كل رجل
منكم ما كان يتولى في دار الدنيا فليعلمن اولياء الشيطان كيف حالهم يوم القيامة اذا ذهبوا مع اوليائهم
وبقي اولياء الرحمن لم يذهبوا مع احد فيتجلى عليهم ويقول الا تذهبون من حيث ذهب الناس فيقولون
فارقنا الناس احوج ما كنا اليهم وانما ننتظر ربنا الذي كنا نتولاه ونعبده فيقول هل بينكم وبينه علامة
تعرفونه بها فيقولون انه لا عدل له فيتجلى عليهم ويكشف عن ساق فيخرون له سجدا فيا قرة عيون اوليائه
بتلك الموالاة ويا فرحتهم اذا ذهب الناس عن سبيله انهم ما كانوا اولياءه ان اولياءه الا المتقون
ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا تستطل هذا البسط فما احوج القلوب الى معرفته وتعقله ونزولها منه منازلها
في الدنيا لتنزل في جوار ربها في الآخرة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولئك رفيقا

فصل

اذا عرف هذا عرف معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس اليك وان معناه اجل واعظم من قول من قال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)